

الأسلوب الشعري عند كعب بن زهير ودوره في أسلمة المعرفة:
شعر الإسلام أنموذجاً

The Poetic Style of Ka`b bin Zuhair and Its Role in the Islamization of
Knowledge: Islamic Poetry as a Model

سیتی حزواني بنت عبد الرحمن Siti Hazwani binti Abd Rahman
International Islamic University Malaysia (IIUM)
E-mail: hazwanis403@gmail.com

رحمة بنت الحاج عثمان Rahmah Binti Ahmad H. Osman
Kulliyyah Of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences,
International Islamic University Malaysia (IIUM)
E-mail: rahmahao@iium.edu.my (Corresponding author)

محمد أشرف بن زينا Muhammad Asyraf bin Zaina
Al Azhar University, Cairo, Egypt
E-mail: asyraf.zain505@gmail.com

Article Progress

Received: 09 April 2022
Revised: 11 April 2022
Accepted: 07 June 2022

*Corresponding Author:
Rahmah Binti Ahmad H. Osman,
Kulliyyah Of Islamic Revealed
Knowledge and Human Sciences,
International Islamic University
Malaysia (IIUM)
rahmahao@iium.edu.my

ملخص

كعب بن زهير له مكانة عالية في الشعر العربي وهو سليل عائلة موهوبة بالشعر، فأبوه الشاعر الجاهلي المعروف زهير بن أبي سلمى، كان هو من الشعراء المشهورين في الجاهلية حتى بعد ظهور الإسلام. وقد لعب كعب بن زهير دوراً مهماً في الحفاظ على رسالة الإسلام من خلال أشعاره وقصائده. فهناك الكثير من القيم الإسلامية والمعرفة عن الإسلام تظهر من خلال شعر كعب بن زهير في عصر الإسلام. وتهدف هذا الدراسة إلى معرفة الأسلوب الشعري عند كعب بن زهير في شعره الإسلامي واكتشاف دوره في أسلمة المعرفة عن طريق شعره. وقد اعتمدت المقالة على المنهج الوصفي المكتبي وركزت البحث في الشعر الإسلامي. وقام الباحثان بتحليل الشعر الإسلامي لكعب بن زهير اعتماداً على شرح ديوان كعب بن زهير لأبي سعيد الحسين بن الحسين بن عبد الله السكري. وتوصلت الدراسة إلى أن شعر كعب بن زهير تأثر بالإسلام من حيث المصطلحات والأساليب تأثراً عميقاً. الكلمات المفتاحية: الشعر الإسلامي، الأسلوب في الشعر، أسلمة المعرفة، كعب بن زهير

Abstract

Kaab bin Zuhair has a high status in Arabic poetry and is a descendant of a family gifted with poetry. His father is the well-known pre-Islamic poet Zuhair bin Abi Salma. He was one of the famous poets in the pre-Islamic era even after the advent of Islam. It is worth noting that he plays an important role in preserving the message of Islam through his poems and poems. Likewise, there are many Islamic values and knowledge about Islam from the poetry of Ka`b bin Zuhair in the era of Islam. This research aims to know the poetic style of Kaab bin Zuhair in his Islamic poetry and to discover a role in his poetry about the Islamization of knowledge. The article released on the desk descriptive approach and focused the research on Islamic poetry. The researcher analyzed the Islamic poetry of Kaab bin Zuhair based on the explanation of the Diwan of Kaab bin Zuhair to Abu Saeed Al Hussein bin Al Hussein bin Abdullah Al Sukari. The research concluded that Kaab bin Zuhair's poetry was profoundly affected by Islam in terms of terms and methods.

Keywords: Islamic poetry, Style of poetry, Islamization of knowledge, Kaab bin Zuhair

المقدمة

إذا نظرنا إلى تاريخ الأدب عامة والشعر خاصة، نجد أن هناك أهمية كبيرة للشعر باختلاف المكان والزمان حتى انتشر بأن الشعر ديوان العرب. وفي الوقت الحالي هناك أيضا تأثير بارز للشعر في الحياة الأدبية والفكرية والسياسية. والشعر العربي يتطور بتطور الشعوب العربية والإسلامية حسب علاقاتها مع الشعوب الأخرى. وقد ظهرت كذلك فنون جديدة في الشعر تختلف من ناحية المضمون، الأسلوب واللغة، والأوزان والقوافي وظهر منها جوانب كثيرة مثل الأشعار السياسية، والاجتماعية، والوطنية، والموشحات، والمعاصر، وغيرها. فشعر كعب بن زهير في المرحلة الأولى أي قبل الإسلام يميل إلى الشدة والتفكير، وخاصة في وصف الصحراء وحيواناتها، بينما في المرحلة الثانية أي بعد الإسلام نراه يميل إلى إرسال

الحكمة، والابتعاد عن الموضوعات الجاهلية (Mahmūd Khalīfah, 2003). ويتضح أيضا إهتمام كعب بن زهير في شعره عن أسلمة المعرفة، وهذا المصطلح (إسلامية المعرفة) معناه العلاقة بين الإسلام وبين المعرفة أي الصلة بين كتاب الوحي، القرآن الكريم وبيانه النبوي وبين كتاب الوجود ومعارف الإنسان في علوم الوجود الإنسانية ومنها الطبيعية. والمذهب القائل بإسلامية المعرفة يؤكد على وجود علاقة بين الإسلام وبين المعارف الإنسانية (Muḥammad 'Amārah, 2007). علاوة على ذلك، هناك ميزة أخرى، وهي أن شعر كعب له الريادة في أسلمة المعرفة والقيم الإسلامية المتضمنة في شعره مثل الإيمان، والأخلاقية، والوجدانية، والاجتماعية، والثقافية.

بعد ذلك، يلاحظ الباحثان أن هناك فنون جديدة في الشعر وما يتعلق بالأسلوب الشعري، ويختلف أسلوب الشعر من الأدباء وكذلك يختلف أسلوب الشعر قبل مجيء الإسلام وبعده. وهذا البحث سيسلط الضوء على طريقة أسلوب الشعر الإسلامي لكعب بن زهير و اكتشاف دور في شعره عن أسلمة المعرفة. وقد اختار الباحثان شعر كعب بن زهير كعينة للبحث. واعتمد على المنهج الوصفي المكتبي وذلك من خلال الرجوع إلى الكتب والمقالات والبحوث ذات العلاقة بموضوع إسلامية شعر كعب بن زهير. ثم القيام بتحليل الشعر الإسلامي لكعب بن زهير اهتماما بمستوى التصوير في أسلوبه والحديث عن شعره ودوره في أسلمة المعرفة. لقد احتوى شعره على العديد من المعرفة الإسلامية. فالأدب الإسلامي عند المحمدي هو "صوت القلب من الأديب المؤمن الملتزم بإيمانه، والطاهر في نفسه وقلبه، الأمر الذي يمكنه من الاتصال بعالم الغيب." (Ya'qub, 2014). ومعنى الإيمان الكامل هو: "مجموع ثلاثة أمور: تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل صالح بالجوارح." (Al-'Allāmah 'Azūz, 2000). وتتجلى خمسة من أركان الإيمان الستة في قوله تعالى: (لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ) (البقرة: 177). أما الركن السادس وهو الإيمان بالقدر، ففي قوله تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (البقرة: 49). وهذا

البحث سيتناول بعض الأبيات المختارة من الشعر الإسلامي عند كعب بن زهير وتتركز على أسلوبية وأسلمة المعرفة في شعره. اعتمد الباحثان على ديوان كعب بن زهير وتم اختيار الأبيات المناسبة.

مفهوم الأسلوب

الأسلوب هو من عناصر التأليف عند الأدباء، والأديب لا بد أن يكون لديه أسلوب تأليف متميز حتى يجد طريقه عند القراء بشكل متميز أيضا. والأسلوب جمعه أساليب، ومعناه لغة الطريقة أو الفن من القول، ففي معاجم اللغة العربية الأسلوب كما يقول "ابن منظور" في لسان العرب يقال للسطر من النخيل وكل طريقة ممتد فهو أسلوب، فالأسلوب هو الطريقة والوجه والمذهب، ويقال أنتم في أسلوب سوى (Ibn Manzūr, 1990). ويعرفه "الفيومي" في معجمه المصباح المنير بقوله: الأسلوب بضم الهمزة: (الطريق والفن وهو على أسلوب من أساليب القوم أي على طرقهم والسلب ما يسلب والجمع أسلاب) (Al-Fayūmī, 2002).

وفي بيان المعنى الاصطلاحي للأسلوب يقول "صلاح فضل" إن الأسلوب هو مظهر القول الذي ينجم اختيار وسائل التعبير، وهذه الوسائل التي يحددها طبيعة ومقاصد الشخص المتكلم أو الكاتب (Ṣalām Faḍl, 1985). وقال أيضا "أحمد الهاشمي" إن الأسلوب هو معنى موضوع الألفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام وأفعال في نفوس سامعية (Aḥmad Al-Hāshimī, 1993).

أما الأسلوبية وهي المدخل الرئيسي لموضوع هذا المقال، فدراسة الأسلوب حسب النظرة اللغوية الحديثة أي دراسة أصرات النص الأدبي وألفاظه وتركيبه والدلالات الموجودة فيه، وهي تجمع الدراسات القديمة والجديدة للأسلوب مبنية على النظرة اللغوية والأدبية معا.

فالأسلوبية هي أن يستخدم الشاعر الرمز بعلم اللغة والأدب للحصول على الأثر الخاص كالتالي:

(1) الأصوات (fonologi)

- (2) المعجم (leksikal)
- (3) التركيب (grammatikal)
- (4) الكيفية (retorikal)
- (5) التصوير (balaghah)

والفرق بين الأسلوبية في اللغة والأدب، أن الأسلوبية في اللغة تعني الدلالة بكلمة مركبة جميلة منضبطة من حيث قواعد النحو والصرف، ولكن الأسلوبية في الأدب هي طريقة الشاعر أو الأدباء ليبلغ الغرض المقصود والمعاني والأثر للقارئ. وتستخدم الباحثة تحليل هذا البحث من ناحية المعجم والتصوير بما يتناسب مع النظرية الأسلوبية.

مكانة الشاعر كعب بن زهير في الإسلام:

بعد نشر ديوان زهير بن أبي سلمى، نُشر ديوان ابنه كعب رضى الله عنه. وهذا الشاعر كعب بن زهير له مكانته بين الشعراء، وهو الذي قيل فيه: لقد "اتفق الشعراء على أن الشعر لم يتصل في ولد أحد من فحول الشعراء في الجاهلية اتصاله في ولد زهير، فكعب وأبوه زهير، وجده أبو سلمى، وعمته سلمى والخنساء، وخال أبيه بشامة بن الغدير، وابنا عمته تماضر، وأخوها صخر، وابنا بنته العوتبان وقريظ، وأخوه بحير، وولده عقبة، وحفيده العوام بن عقبة كلهم شعراء" (Al-Imām Al-Sukrī, 1950).

ولقد انعقد إجماع الرواة على وصف شعر كعب بن زهير بقوة التماسك وجزالة اللفظ وسمو المعنى (Al-Imām Al-Sukrī, 1950). كيف لا وأبوه زهير صاحب المعلقة، والحوليات، وأحد الثلاثة المقدمين على شعراء الجاهلية، (Muḥammad Hijāb, 1973) ويكفي أن ابن سلام روى في كتابه (طبقات الشعراء) أن الحطيئة قال لكعب: "قد علمت روايتي شعر أهل هذا البيت، وانقطاعي لكم، وقد ذهب الفحول غيري وغيرك، فلو قلت شعرا

تذكر فيه نفسك وتضعني موضعاً"، فإن الناس لأشعاركم أروى، وإليها أسرع، فقال كعب
:(Muhammad Al-Jumahī, 2019)

فَمَنْ لِلْقَوَائِي شَأْنُهَا مَنْ يَحُوكُهَا
كَفَيْتُكَ لَا تَلْقَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدًا
إِذَا مَا ثَوَى كَعْبٌ وَفَوَّزَ جُرُولُ
تَنْخَلٌ مِنْهَا مِثْلَ مَا يُنْتَخَلُ
يَقْفُهَا حِينَ تَلِينُ مُنُونُهَا
فَيَقْصُرُ عَنْهَا كُلُّ مَا يُمْتَلُ

(شرح ديوان كعب بن زهير، ص: ن)

وروي أنه قيل لخلف الأحمر: أيهما أشعر زهيراً أم ابنه كعب؟ فقال: لولا قصائد زهير
يذكرها الناس ما فضلته على ابنه كعب (Al-Imām Al-Sukrī, 1950).

ولقد سبق كعب إلى مذاهب في الشعر أخذه عنه الشعراء، من أمثلة ذلك قوله:

لَا يَشْتَكُونَ الْمَوْتَ إِنْ نَزَلَتْ بِهِمْ
شَهْبَاءُ ذَاتِ مَعَاقِمٍ وَأَوَارٍ
سمعه بعضهم فقال:

رُمِيَتْ نِطَاطَةٌ مِنَ الرَّسُولِ بِفَيْلِقٍ
شَهْبَاءُ ذَاتِ مَعَاقِمٍ وَأَوَارٍ

(شرح ديوان كعب بن زهير، ص: ن-ع-ف)

فقد ابتدعها كعب بن زهير، ومن ثم أخذها عنه الشعراء وتداولوها.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن مكانة كعب بن زهير الشعرية، وقدرته الأدبية، والاتفاق المعقود
مسبقاً على كون الشعر الإسلامي، وما فيه من قيم هو مصدر مهم في توجيه السلوك،
وتحريك النفوس نحو الفضيلة، زاد ذلك من قيمة شعر كعب بن زهير، ورفع من مكانته،
وجعله مادة دسمة لاستخلاص القيم الإسلامية المنبثقة من شعر شاعر مخضرم مشهود لشعره
بالجدالة، والقوة والرصانة.

وقد بلغت شهرة كعب بن زهير ومكانته الشعرية عصرنا هذا، والكثير من الناس تمسكوا
بأشعاره وتداولوها فيما بينهم، وتعلموها وعلموها، وخاصة أبياته الشعرية بعد إسلامه،
والتي ما إن "حسن إسلامه حتى انطلق يدافع من خلالها عن الإسلام ويشيد بانتصاراته".
والشعر الذي ينطلق من باب الدفاع عن الدين الإسلامي محاولاً تقوية عراه، وتأصيله في

النفس، هو شعر تربوي لا محالة، فهو من أهم ما يساند مصادر التشريع في تكوين القيم، وتعزيزها في النفس، ولما كان شاعرنا كعب بن زهير هو أحد المئة الذين كان لهم السهم الربيح في نهضة العرب الدينية والسياسية والاجتماعية، والذين كان شعرهم أقرب منالاً، وأوثق مبنى وأبرز معنى (Ahmad Al-Zayyāt, 2004). كان من الضروري الغور في آثاره، والتي تتمثل في قصائد متفرقة، وأبيات منشورة هنا وهناك في كتب الأدب، وقد جمعت في ديوان يحمل اسمه، ولا يتجاوز عدد صفحاته المائة وعشر صفحات (Maḥmūd Khalīfah, 2003).

والمسألة ليست متعلقة في أن يكون الشاعر مقلداً أو مكثرأً، وإنما القيمة والعبرة في ما احتوى عليه هذا النتاج الشعري من قيم إسلامية، ومدى نفع لهذا الديوان، وقدرته على التأثير والتغيير في المتلقي، ومن ثم التعديل والتنمية والتعزيز .

نبذة عن حياة كعب بن زهير:

اسمه ونسبه وأسرته:

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى صحابي جليل، وأحد فحول الشعراء المخضرمين المجيدين، وأبوه زهير بن أبي سلمى وهو ربيعة بن رياح بن قرط بن الحارث بن مازن بن حلاوة بن ثعلبة بن ثور بن هذمة وأخوه بجير شاعر، ولكعب ابن هو عقبة وهو المضرب بن كعب، ولعقبة ابن وهو الحجاج بن ذي الرقبة بن عقبة المضرب ، يقال له المزني نسبة إلى مزينة إحدى قبائل مضر. وللشاعر زهير بن أبي سلمى أخت هي سلمى بنت أبي سلمى شاعرة أيضاً (Al-Imām Al-Sukrī, 1950).

عاش كعب بن زهير في بيئة تنتج القرائح الشعرية عند الرجال والنساء وفي بيت كعب أحد عشر شاعراً من نسل أبي سلمى جد كعب بن زهير، ولم يخل عليه أبوه بالحكمة والأدب، فشب كعب بن زهير شاعراً فصيحاً حكيماً.

وأم كعب بن زهير كبشة بنت عمار بن عدي بن سحيم بن غطفان، أما عن ولادة كعب فلا يعرف تاريخ ولادته، مثل كثير من الشعراء في القديم، ولكنه توفي في حدود سنة ست

وعشرين للهجرة (ستمائة وخمسة وأربعين للميلاد (645م) (Al-Imām Al-Sukrī,) (1950).

حياته قبل الإسلام:

لقد وقف كعب من الإسلام أول أمره، موقف الخصومة والعداء، وبخاصة بعد أن أسلم أخوه بجير بن زهير، وقال ابن إسحاق: ولما قدم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الطائف كتب بجير بن زهير إلى أخيه كعب يخبره أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قتل رجلاً بمكة ممن كان يهجو ويؤذيه، وأن من بقي من شعراء قريش ابن الزعري؛ وهبيرة بن أبي وهب قد هربوا في كل وجه، فإن كانت لك في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً مسلماً، وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجائك وعلى عادة العرب في الجاهلية كانت القبائل تحالفت قبيلة مزينة مع الأوس ضد قبائل الخزرج وجهينة أشجع (Alī Muḥammad, 1942)، ولهذا نرى أن كعباً عندما مدح الأنصار لم يمدحهم كلهم، بل استثنى الخزرج من مديحه عندما قال:

مَنْ سَرَّهُ كَرْمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَزَلْ فِي مِقْنَبٍ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ

حياته في الإسلام:

أما عن حياة كعب في الإسلام، فتبدأ مع قصة إسلامه، وكان ذلك على إثر إسلام بجير. يروى أن كعباً وبجيراً ابني زهير خرجا إلى (أبراق الغراف)، فقال بجير لكعب: اثبت أنت في الغنم حتى آتي هذا الرجل، يعني محمداً ﷺ، فأسمع خبره وأعرف ما عنده، فأقام كعب ومضى بجير، فعرض رسول الله ﷺ الإسلام على بجير فأسلم، فعلم بإسلامه كعب، فأنشد أبياتا ستأتي مطلعها (Alī Husayn Al-Bawwāb, 1985):

ألا أبلغا عني بجيراً رسالة	فهل لك فيما قلت، ويحك هل لكا
شربت مع المأمون كأساً رويةً	فأهلك المأمون منها وعلكاً
وخالفت أسباب الهدى وتبعته	على أي شيءٍ وبب غيرك ذلكا
على خلقي لم تُلّفِ أما ولا أبا	عليه ولم تُدرِكْ عليه أحّا لكا

(شرح قصيدة كعب بن زهير، ص: 7)

فلما وصل هذا الشعر إلى رسول الله ﷺ أهدر دم كعب، فبعث بجير إلى أخيه يخبره بذلك، ويطلب منه أن يسلم فينجو بنفسه. فجاء كعب إلى رسول الله ﷺ تائباً مسلماً، فعفا عنه صاحب الخلق الكريم، فأنشد كعب القصيدة التي ستأتي. وقد أعجب النبي ﷺ بالقصيدة، وأجاز كعباً بردته كما سنوضح فيما بعد (Alī Ḥusayn Al-Bawwāb, 1985).

أسلوبية شعر كعب بن زهير (تحليل شعر في العصر الإسلامي):

لَعْمُرُكَ لَوْلَا رَحْمَةُ اللَّهِ إِنِّي
لَأَمْطُو بِجَدِّ مَا يُرِيدُ لِيَرْفَعَا (المعاني/الخبر)
فَلَوْ كُنْتُ حُوتًا رَكَّضَ الْمَاءُ فَوْقَهُ
وَلَوْ كُنْتُ يَرْبُوعًا سَرَى ثُمَّ قَصَّعَا
(البديع/المحسنات اللفظية)

(شرح ديوان كعب بن زهير، ص: 227)

أمطو: أخذ وأمد، جد: حظ وإنما يشكو جده.

حوت: سمكة ضخمة يبلغ طولها أحياناً اثنين من الأمتار (٢ متراً) ووزنها نحو طن واحد (١ طناً) وتصاد للحمها وزيتها.

ركض: ضرب أو سبح، يربوع: حيوان من الفصيلة اليربوعية، يشبه الفأر، صغير على هيئة الجرد الصغير وله ذنب طويل ينتهي بخصلة من الشعر، سرى: جرى، قصع: جرع أو أبطأ.

الشرح: لولا وجود رحمة من الله، لأمطو بجد أو لأسرع في سبيل الاجتهاد لنيل ما يريد، ولا بد بالتصديق على رحمة الله عز وجل، لأن النجاح لا يأتي إلا بعد الاجتهاد، وكذلك لا بد أن يكون مع الاجتهاد الدعاء، كما قال الله تعالى في القرآن الكريم: "ادعوني أستجب لكم" (سورة البقرة في الآية 60). ثم مثل كعب نفسه بأنه لو كان هو حوت، فسيسبح فوق الماء حتى يسرع في حصول غايته، ثم لو هو يربوع، فسيجرى بسرعة حتى يصل إلى الغاية فيمشى بطياً.

لَوْ كُنْتُ أَعْجَبُ مِنْ شَيْءٍ لَأَعْجَبَنِي
(المعاني/الخبر)

يَسْعَى الْفَتَى لِأُمُورٍ لَيْسَ مُدْرِكَهَا
(البديع/المحسنات المعنوية)

(شرح ديوان كعب بن زهير، ص: 74)

أعجب: حملة على العجب منه، سعي: عمل، الفتى: شاب في أول شبابه، محبوب: مستور أو محبوب.

مدرك: رجل شديد التبليغ، الهم: الحزن أو الشك، منتشر: منبسط أو متفرق.
الشرح: أن القدر سيدرك الكل الفتى أو الفرد، والعجب إذا حصل بما يعيشه المرء بقدرته حتى وصل إلى ما أراه أو أدركه، فهذه طريقة لنيل ما أراه، وهي مختلفة ومتنوعة، ولكن لا بد في طريقته من الحلال، فيسعى الفتى بشيء لم يفهمه ولم يعرفه، فيتعمق ويفحص ذلك الشيء حتى نجاحه فيه، لأن النفس متحدة، ولكن الهموم متفرقة منتشرة.

وَالْمَرْءُ مَا عَاشَ مَمْدُودٌ لَهُ أَمَلٌ
(البديع/المحسنات المعنوية)

وَلَيْسَ لِمَنْ لَا يَرْكَبِ الْهَوْلَ بُغْيَةٌ
(المعاني/الخبر)

(شرح ديوان كعب بن زهير، ص: 74)

مدود: كثير، أمل: رجاء، العين: الأفضل، الأثر: مكرمة متوارثة.

الهل: خوف، بغية: مطلب، حط: أنزل، رحل: منزل، حط.

الشرح: الفرد إذا عاش في الدنيا بكثرة أمل سيحصله في مستقبله لتكون حياته أسعد من قبل، وهو لا يقف في السعي والتدقيق في تواجد الأمل إلا إذا حصله. وبهذه الأبيات اعترف كعب بأنه لا راد لقضاء الله وقدره، ولكن لا بد من الأخذ بالأسباب، والسعي إلى الابتعاد عن المكروه، وأخذ الحذر، وعدم الاستسلام للموت، وبتسليمه بالقضاء والقدر.

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُقْصِرِ عَنِ الْجَهْلِ وَالْحِنَا أَصَبْتَ حَلِيمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلٌ (البيان/المجاز)
(شرح ديوان كعب بن زهير، ص: 158)

تقصر: مشغول، الحنا: أفحش في كلامه، حلِيمًا: ذو حلم.

الشرح: ليس كل الناس يخاف من الطلب وليس كل الناس ينتظر الرحمة من الله، فعلى كل إنسان أن يجتهد و يسعى حتى يذهب الجهل والحنا منه، ولابد أن المرء يشغل حياته في طلب العلم للحصول على النجاح في الدنيا والآخرة. ولكن الذي يخاف فحياته مملوءة بالحلم والجهل، ولا حصول لنيل الحلم.

بَانَتْ سَعَادٌ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولٌ مُتَيْمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُجْزِ مَكْبُولٌ (البدیع/المحسنات)
(اللفظية)

وَمَا سَعَادٌ عَدَاةَ الْبَيْنِ إِذِ رَحَلُوا لَا أَعْنُ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولٌ
(البيان/التشبيه)

تَجَلَّوْا عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولٌ (البيان/التشبيه)
(شرح ديوان كعب بن زهير، ص: 6)

بانة: فارقت، سعاد: اسم امرأة أو يريد امرأة يهواها حقيقة أو ادعاء، متبول: مرغوم أو محتقر، متيم: مستبد به الحب وقد ذهب بعقله أو مضلل، لم يفد: لم يجز كأنه سار بعدها أسيرا محبوسا لم يفده أحد بالفداء، مكبول: اسم المفعول من كبل بمعنى حبسه وسجنه.

التبل: الوغم في القلب، يقال: تبلت فلانة فلانا: إذا تيمته كأنها أصابت قلبه بتبل أي: ذهل، والتبل: العداوة، ويقال تبلهم الدهر أي أفناهم، ومنه قول الأعشى.

والمتيم: المستعبد، ومنه اشتقاق تيم الله، ويقال: أرضا تيمًا وتيها إذا كانت مضلة.

الأغن: الذي في صوته غنة أو نبرة مستحبة تجعل الصوت خارجا من اللهاة والأنف شبه المرأة بالغزال، غضيض: فاطر، مكحول: حدقة العين سوداء من الغزلان.

تجلو: من جلوت السيف أزلت عنه الصداء، العوارض: الأسنان، الظلم: ماء الأسنان، المنهل: الشرب الأول، معلول: الشرب الثاني، الراخ: الخمر. الشرح: لما فارقتة سعاد وقلبه محتقر ومستبد به الحب، صار بعدها كأسير لم يجز بفداء يفكه من الأسر، فهو باق على حالة الأسر، فإذا ذهبت سعاد مبكرا، مثل صوتها غنة في حديقة العين سوداء من الغزلان. زين أسناتها بماء الأسنان إذا ابتسمت كأنه ماء الشرب الأول بالخمر، ثم الشرب الثاني. فاستأنف كعب بن زهير بيته كأنه يخاطب محبوبته، ولكن في العصر الإسلامي حول الشاعر حبه إلى الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم.

الأسلوبية في شعر كعب بن زهير

يعد المستوى التصويري من الدراسة الأسلوبية للأعمال الأدبية ويبين المستوى التصويري عن البلاغة، فكان نوع علم البلاغة ثلاثة، وهو علم البيان، وعلم المعاني، وأيضا علم البديع. فالمستوى التصويري لكل شعر حسب الترتيب في علم البلاغة وكذلك في شعر كعب بن زهير، وهو كالتالي:

- الصورة البلاغية في علم المعاني

• الخبر

لَعَمْرُكَ لَوْلَا رَحْمَةُ اللَّهِ إِنِّي لَأَمْطُو بِجَدِّ مَا يُرِيدُ لِيَرْفَعَا (المعاني/الخبر)

بالنظر إلى كلمة "لولا" نراه هنا يصور موضوع الخبر الإنكاري، لأن الخبر: هو إن كان الكلام مطابق للواقع كان قائله صادقا، وإن كان غير مطابق له كان قائله كاذبا. فبيانه لولا توجد رحمة من الله، لأمطو بجد أو لأسرع في سبيل بالاجتهاد لنيل ما يريد (Anīs Afifah, 2010). وذلك يوضح أن الكلام مطابقا للواقع فيكون كلامه صادقا. فالمخاطب منكر للحكم جاحد له، ويجب أن يضمن الكلام من وسائل التقوية والتوكيد ما يدفع إنكار المخاطب ويدعوه إلى التسليم، ويجب أن يكون ذلك بقدر الإنكار قوة وضعفا. ولا بد من اليقين برحمة الله عز وجل.

لَوْ كُنْتُ أَعْجَبُ مِنْ شَيْءٍ لَأَعْجَبَنِي سَعْيُ الْفَتَى وَهُوَ مَخْبُوءٌ لَهُ الْقَدْرُ
(المعاني/الخبر)

وهنا نرى أن الخبر إنكاري، ويوجد التوكيد فيه، فالخبر إن كان الكلام مطابقا للواقع كان قائله صادقا، وإن كان غير مطابق له كان قائله كاذبا. فبيان له إعجاب الشاعر من سعي الفتى وليس مجرد الخيال، وذلك يوضح على أن الكلام مطابقا للواقع فيكون كلامه صادقا. فالمخاطب منكر للحكم جاحد له، ويجب أن يضمن الكلام من وسائل التقوية والتوكيد ما يدفع إنكار المخاطب ويدعوه إلى التسليم، ويجب أن يكون ذلك بقدر الإنكار قوة وضعفا.

وَلَيْسَ لِمَنْ لَا يَرْكَبِ الْهَوْلَ بُغْيَةً وَلَيْسَ لِرَّحْلِ حَطَّةِ اللَّهِ حَامِلٌ (المعاني/الخبر)
وهنا الخبر لوجود أدوات التوكيد فيه، وهي أداة "ليس"، وللمخاطب حالة في الشعر، أن يكون المخاطب منكرا له، ويجب أن يؤكد الخبر بمؤكد أو أكثر على حسب إنكاره قوة وضعفا. وهو في البيت ليس لمن يركب الهول بغية وليس لرحل حطه الله حامل.

- الصورة البلاغية في علم البيان

● التشبيه

وَمَا سَعَادُ غَدَاةِ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا لَا أَعْنُ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ
(البيان/التشبيه)

وهو التشبيه، وشبه سعاد بالظبي، جريا على عادة العرب في التشبيه إذا أرادوا وصف الفتاة بالجمال، ومعلوم أن الظباء من الحيوانات المعروفة في الصحراء، وكان الشاعر العربي يعرف هيئته فاستخدمه في التشبيه، وأتى التشبيه بأسلوب القصر، ليدل على المبالغة وتأكيد الوصف المراد وهو الجمال.

تَجَلَّوْ عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولٌ
(البيان/التشبيه)

التشبيه التمثيل، لأن وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد، فوجه الشبه هو "بالراح معلول"، فالمشبه هنا ضمير الهاء يعود إلى كلمة "ظلم"، المشبه به هو "منهل"، فأداة الشبه هو كأن.

• المجاز

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُقْصِرِ عَنِ الْجَهْلِ وَالْحَنَاءِ أَصَبْتَ حَلِيمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلٌ
(البيان/المجاز)

تكون نوع المجاز اللغوي، معناه أن الإنسان لا بد أن يعمل على ضياع الجهل والحنا، وأما الذي لا يعمل لضياعهما، فيصب حلِيمًا أو يصيب جاهلاً، فالأولى أن كلمة "الجهل" استعملت في معناها الحقيقي، وأن كلمة "الجهل" الثانية استعملت في الحال المبالغة، وهو غير معناها الأصلي، فأما العلاقة بين الجهل الأولى والثاني ليست المشابهة وإنما هي الجزئية، والقرينة "لم تقصر" فهي لفظية.

- الصورة البلاغية في علم البديع

• المحسنات المعنوية

يَسْعَى الْفَتَى لِأُمُورٍ لَيْسَ مُدْرِكَهَا وَالنَّفْسُ وَاحِدَةٌ وَالْهَمُّ مُنْتَشِرٌ
(البديع/المحسنات المعنوية)

الطباق، فالطباق نوعان وهو طباق الإيجاب وطباق السلب، فهذا من طباق الإيجاب لأننا وجدنا الكلمة وضدها، وهي مشتملة من "النفس والههم" وكذلك واحدة ومنتشر " وهو ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا.

وَالْمَرْءُ مَا عَاشَ مَمْدُودٌ لَهُ أَمَلٌ
لا تَنْتَهِي الْعَيْنُ حَتَّى يَنْتَهِيَ الْأَثَرُ
(البديع/المحسنات المعنوية)

يتضمن الطباق، يشمل فعلين من مادة واحدة، وهو من طباق السلب لأن كلمة "لا تنتهي و ينتهي" في الشعر. من مادة واحدة وضدها من وجود أداة السلمي والإيجاب. وهذا أيضا من نوع المجاز اللغوي لأن كلمة "لا تنتهي وينتهي" هو كلمتان مستعملتان في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

• المحسنات اللفظية

فَلَوْ كُنْتُ حُوتًا رَكَضَ الْمَاءِ فَوْقَهُ
وَلَوْ كُنْتُ يَرْبُوعًا سَرَى ثُمَّ قَصَّعًا
(البديع/المحسنات اللفظية)

المقابلة، وهو يوجد في عجزه على ما يقابل المعنيين على الترتيب، فالأول هما الحوت والركض، ثم قابل ذلك في آخر الكلام بالبرع والقصع، لأنه يأتي بمعنيين، ثم يأتي بما يقابل ذلك على الترتيب.

بَانَتْ سَعَادٌ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولٌ
مُتَيِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُجْزَ مَكْبُولٌ
(البديع/المحسنات اللفظية)

السجع، لأن هناك توافق الفاصلين في الحرف الآخر وهو حرف اللام، وأيضاً من نوع الطباق في كلمة متبول ومكبول بوجود الاتفاق في نوع شكلهما وعددهما وترتيبهما ولكن اختلف في حرفهما، وذلك النوع من الطباق غير تام.

دور الشعر العربي في إسلامية المعرفة:

ماذا يعني هذا المصطلح أو الشعار (إسلامية المعرفة)؟ إن (الإسلامية) هي النسبة إلى الإسلام. وإذا كان الإسلام لغة هو الخضوع والانقياد لما أخبر به الرسول -صلى الله عليه وسلم- من البلاغ الإلهي المتمثل في القرآن الكريم، ومن البيان النبوي، المتمثل في السنة النبوية الصحيحة. أما (المعرفة) فإنها: خلاف الإنكار وإدراك الأشياء وتصورها فهي: العلم الكسبي الخاص بالبسيط والجزئي والذي فيه إدراك وتصوير وتلك صفات وجهود بشرية إنسانية. (Muhammad 'Amārah, 2007).

وبالإضافة إلى ذلك، هناك دور لشعر كعب بن زهير في المعرفة الإسلامية مثل الإيمان بالله تعالى يعني توحيد الله وحده، والمعنى لامعبود ولا إله إلا الله، ومن أمثلة ذلك كقول كعب:

أَرَادُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ إِلَهًا كَفَىٰ بِاللَّهِ دُونَ اللَّاتِ كَافٍ

(ديوان كعب بن زهير، ص: 63)

ثم، القسم بالله دون غيره، تحقيقاً لما ورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في تحريم القسم والحلف بغير الله، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت، ومما يدل على ذلك قوله:

فَأَقْسَمْتُ بِالرَّحْمَنِ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ يَمِينُ أَمْرِي بَرٌّ وَلَا أَتَحَلَّلُ

(ديوان كعب بن زهير، ص: 81)

ثم يخبر في شعره عن الإيمان بالرسول أي "التصديق برسالتهم، والإقرار بنبوتهم، وأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله. والإيمان بأن رسالتهم حق من عند الله عز وجل أمر أقره كعب بن زهير في شعره، وقد وردت قيمة الإيمان بالرسول مثل "أن النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- يقول الحق، وهو نور يضيء لينتشل الناس من ظلمات الجهل والفكر إلى نور الإسلام

بتبليغه للرسالة، والشعرية، والقرآن الكريم" (Munīrah, 2012)، وكما قال في شعر كعب بن زهير:

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ وصارم من سِيوفِ اللَّهِ مَسْلُورٌ
(ديوان كعب بن زهير، ص: 6)

وفي رواية أخرى:

إِنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مَهْنَدٌ من سِيوفِ اللَّهِ مَسْلُورٌ
(ديوان كعب بن زهير، ص: 90)

يشجع أيضا في شعره على التوكل على الله تعالى، وقد وردت قيمة التوكل على الله عز وجل في شعر كعب بن زهير بعدة صور، منها:

أَخَذْتُ قَلْبُوصِي وَآكْتَلَأْتُ بِعَيْنِهَا وَأَمَرْتُ نَفْسِي أَيَّ أَمْرِي أَفْعَلُ
أَأَكْلُوهَا خَوْفَ الْحَوَادِثِ إِهْمًا تَرِيبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَمْ أَتَوَكَّلُ
(شرح ديوان كعب بن زهير، ص: 55-56)

يصف الشاعر موقفاً حدث له إحدى المرات في إحدى القفار التي لا نبت فيها، وذلك عندما أناخ بعيره وأراد أن ينام وحيداً في هذا القفر الموحش، "والقلوص: البعير" (Al-Imām Al-Sukrī, 1950)، ويصف الشاعر حالته النفسية التي كانت بين الخوف وبين التوكل على الله، ومن ثم يختار التوكل على الله والنوم وترك الأمر كله لله، في قوله مسترسلاً أبياته: إن الله عز وجل هو الحافظ، "هو الحافظ الوسنان بالليل ميتاً" (Al-Imām Al-Sukrī, 1950).

النتائج

توصل البحث إلى نتائج، وأهم النتائج يمكن إيجازها في النقاط التالية:

1. كعب بن زهير بن أبي سلمى صحابي جليل وأحد فحول الشعراء المخضرمين

المجيدين لأنه عاش في عصرين يعني في الجاهلية والإسلامية. ولا يعرف تاريخ

- ولادته، مثل كثير من الشعراء القدماء، ولكنه توفي في حدود سنة ست وعشرين للهجرة (ستمائة وخمسة وأربعين للميلاد (645م)).
2. أقام كعب بن زهير في بني غطفان، وفي هذه البيئة الشعرية نشأ كعب، فسمع الشعر طفلاً، ورواه ناشئاً، وهو أكبر أبناء زهير.
3. ولقد وقف كعب من الإسلام أول أمره، موقف الخصومة والعداء، وبخاصة بعد أن أسلم أخوه بجير بن زهير. أسلم كعب في أواخر السنة السابعة للهجرة، وبرز كعب شاعراً من شعراء الدعوة الإسلامية ومن الذين دافعوا عن الإسلام.
4. إن الأسلوبية عنصر من عناصر علم اللغة، والأسلوبية هي أن تبحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب وعن سائر أصناف الفنون الإنسانية. والمنهج الأسلوبي يعتمد على الإلفاظ والتراكيب والصور والأصوات.
5. هناك فرق بين الأسلوبية في اللغة والأدب، الأسلوبية في اللغة يراد بها أن تكون هناك كلمة مركبة جميلة حسب قواعد النحو والصرف، وأما الأسلوبية في الأدب فهي طريقة الشاعر أو الأدباء في تبليغ الغرض المقصود أو المعاني والأثر للقارئ.
6. من خلال المستوى التصويري، يستخدم الشاعر في شعره من علم المعاني، وعلم البيان، وكذلك علم البديع.
7. إن هذا الشاعر كعب بن زهير، قد اتفق الشعراء على أن الشعر لم يتصل في ولد أحد من فحول الشعراء في الجاهلية اتصاله في ولد زهير. ولقد انعقد إجماع الرواة على وصف شعر كعب بن زهير بقوة التماسك وجزالة اللفظ وسمو المعنى.
8. تحتوي قصيدته على قيم إسلامية حيث ظهرت أسلمة المعرفة وشمولية الدين.

التوصيات

1. يمكن البحث في شعر كعب بن زهير في أغراض أخرى من موضوعات الشعر الجاهلي كالمدح والمدح، والهجاء، والرتاء، والغزل، والوصف، وبعض الحكم.
2. إسلامية المعرفة علم جديد، فيمكن للباحثين الجدد البحث في المجال، كما يمكن البحث في منهج آخر لتحليل نص الأدب مثل الشعر.
3. البحث عن إسلامية المعرفة في النصوص الأدبية الأخرى.

الختام

هذه المقالة تحاول الإسهام في توضيح الأفكار عن الأسلوب في الشعري الإسلامي عند كعب بن زهير ومعرفة أسلمة المعرفة في شعره. ويرجو الباحثان أن يكون هذا البحث نافعا للقارئین وخصوصا للدارسين في مجال الشعر العربي. وأخيرا، نتقدم بالشكر الجزيل لمن ساعد في إكمال كتابة هذا البحث خاصة إلى مؤلف مشارك محمد أشرف بن زينا على مشاركته في التأليف، فالله يرحمكم جميعا.

References

Al-Qur'ān Al-Karīm

Aḥmad Al-Hāshimī. 1993. Jawāhir Al-Balāghah. Bairut: Dār Al-Fikri. P42.

Aḥmad Ḥasan Al-Zayyāt. 2004. Tārīkh Al-Adab Al-'Arabī. Bairūt: Dār Al-Ma'rifah. P107.

Al-'Allāmah Muḥammad Al-Makkī Bin 'Azūz. 2000. Al-'Aqīdah Al-Islāmiyyah. Jiddah: Dār Nur Al-Maktabah. P132.

Al-Fayūmī. 2002. Al-Miṣbāḥ Al-Munīr. 'Omān: Dār Ṣafā. P104.

- ‘Alī Ḥusayn Al-Bawwāb. 1985. Sharḥ Qaṣīdat Ka’b Bin Zuhayr (Bānt Su’ād) Fī Madḥ Rasūlillāh Ṣallallāhu ‘Alayhi Wa Sallam. Al-Riyāḍ: Maktabat Al-Ma’ārif. P7-6.
- Al-Imām Abī Sa’īd Bin Al-Ḥasan Al-Sukrī. 1950. Sharḥ Dīwān Ka’b Bin Zuhayr. Al-Qāhirah: Dār Al-Kutub Al-Miṣriyyah.
- ‘Alī Muḥammad Al-Bajāwī, Muḥammad Abū Al-Faḍl Ibrāhīm. 1942. Ayyām Al-‘Arab Fī Al-Jāhiliyyah. Bairūt: Dār Al-Kutub Al-‘Ilmiyyah. P71.
- Anīs ‘Afīfah. 2010. "Shi’r Ka’b Bin Zuhayr Fī Al-Jāhiliyyah Wa Al-Islām". Baḥth Muqaddam Ilā Kulliyat Al-Dirāsāt Al-Islāmiyyah Wa Al-‘Arabiyyah Al-Mutaṭallabāt Istikmālan Al-Ḥuṣūl ‘Alā Al-Darajah Al-Jāmi’ah Al-‘Ulā. Kulliyat Al-Dirāsāt Al-Islāmiyyah Wa Al-‘Arabiyyah: Jāmi’at Sharīf Hidāyatullāh Al-Islāmiyyah Al-Ḥukūmiyyah. P51.
- Ibn Manzūr. 1990. Lisān Al-‘Arab. Bairūt: Dār Ṣādir. P356.
- Maḥmūd Khalīfah, ‘Iṣām Fahmī. 2003. Al-Adab Fī Ṣadr Al-Islām. Al-Riyāḍ: Dār Ishbīlyā Li Al-Nashr Wa Al-Tawzī’. P190.
- Muḥammad ‘Amārah. 2007. Islāmiyyat Al-Ma’rifah Mādhā Ta’nī? Al-Qāhirah: Dār Nahḍah Maṣr. P10.
- Muḥammad Bin Salām Al-Jumāhī. 2019. Tabaqāt Faḥūl Al-Shu’arā. Bairūt: Dār Al-Madanī. P104.
- Muḥammad Nabīh Ḥijāb. 1973. Rawā’ie Al-Adab Fī Al-‘Uṣūr Al-‘Arabiyyah Al-Zāhirah. Maṣr: Dār Al-Ma’ārif. P16.
- Munīrah ‘Āyish Sa’ūd Kalīb. 2012. "Al-Qiyam Al-Islāmiyyah Al-Mutaḍamminah Fī Shi’r Ka’b Bin Zuhayr Wa Al-Asālīb Al-Tarbawiyah Al-Muqtarahah Li Tanmiyatihā Ladā Al-Ṭalabah". Mutaṭallab Takmīlī Li Nayl Darajat Al-Mājistūr Fī Al-Tarbiyyah. Jāmi’at Umm Al-Qurā Kulliyat Al-Tarbiyyah. Qism Al-Tarbiyyah Al-Islāmiyyah Wa Al-Muqāranah. P119.
- Ṣalām Faḍl. 1985. ‘Ilm Al-Uslūb Mabādī’ih Wa Ajriatuhu. Miṣr: Al-Hay’ah Al-Miṣriyyah Al-‘Āmah Li Al-Kitāb. P76.